

سلسلة: إتحاف الحاضر والبادي بتفريغ أشرطة العلامة الشيخ محمد بن هادي (١١ / ٦٣)

## دروس رمضان ( ١١ )

### العشر الأواخر من رمضان

لفضيلة الشيخ العلامة

د . محمد بن هادي المدخلي حفظه الله

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

ألقاه فضيلته بعد عصر الأربعاء، ١٧ رمضان ١٤٤٥ هـ

في مسجد بدرمي العتيبي بالمدينة النبوية

اعتناءً

أبي قصي المدني

- عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين أجمعين -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دروس رمضانية (١١): العشر الأواخر من رمضان<sup>(١)</sup>

قال الشيخ محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

معاشر الأحبة: يوم السبت مساءً نستقبل العشر الأواخر من هذا الشهر في هذا العام؛ عام خمسة وأربعين وأربع مئة وألف، هذه العشر العظيمة التي هي أفضل ليالي العام، لا ينبغي للعاقل أن يشتغل عنها بشيء، وعليه أن يشتغل فيها بما هو مُقَرَّبٌ له إلى الله ﷻ، وعليه أن ينتهز ساعاتها، ودقائقها، وثوانيتها، فإنها كلها ليالٍ معدودة، أسبوع وليلتين أو ثلاثة من عمره الذي أمضى منه عامًا كاملاً فيه ما فيه، مما نسأل الله ﷻ أن يتجاوز عنا وعنكم مما حصل فيه من العصيان، والذنوب، والتقصير، واللهو، والغفلة.

هذه العشر -يا معاشر الأحبة- الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، صاحب المقام المحمود -صلوات الله وسلامه عليه-، صفوة خلق الله أجمعين؛ كانت هذه العشر إذا أظلمت تغير حاله فيها عن حاله في الوسطى والأولى، وحاله في الوسطى خير، وحاله في الأولى خير، ولياليه، وأيامه، وساعاته، ودقائقه، وثوانيه ﷻ كلها خير، لكنه يزداد في هذه العشر من الخير

(١) ألقاه فضيلته بعد عصر الأربعاء، ١٧ رمضان ١٤٤٥ هـ في مسجد بدري العتيبي بالمدينة النبوية.

والحرص عليه ازديادًا عجيبًا مع غفران ذنوبه المتقدمة والمتأخرة، فكيف بمن لم يحصل له ذلك؟ إنَّ الواجب عليه أن يكون في هذا الباب أحرص، ومن ذنوبه أخوف، ولعفو ربه أرجى، وإذا كان لعفو ربه أرجى؛ فعليه أن يتعرَّضَ لنفحات الله.

فهذه العشر يا إخوتي ليس الكلام فيها فقط تنبيه للناس عمومًا، أو القاء باللوم على الغافلين، لا، نحن يجب علينا أن نأخذ أنفسنا بالجِدِّ أول ما نأخذ قبل غيرنا، وانظروا إلى حال رسول ﷺ فيها.

\* فقد روت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنَّ النبي ﷺ: «كَانَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»<sup>(١)</sup> ما لا يجتهد في غيره من العام، وما لا يجتهد في غيره من رمضان أيضًا.

\* وقد أخبرت - رضي الله عنها - ووصفت شيئًا من هذا الاجتهاد بقولها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ، شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ»<sup>(٢)</sup>.

(شَدَّ مِئْزَرَهُ): يعني اجتنب النساء والتلذُّذ والتنعُّم بقضاء الوطر من أهله، ويقبل على ربه - تبارك وتعالى - بالعبادة؛ وذلك بإحياء ليله، فيحيي ليله كله بالصلاة، بالقيام لله - تبارك وتعالى - مُصَلِّيًّا، مُنَاجِيًّا، وبالذكر، وبالأستغفار، وبقراءة القرآن، وبالتحميد، والتسبيح، والتهليل، وجميع أنواع الذكر، والطاعات، يحيي بها الليل، ليس فقط القيام، يقوم من الليل كثيرًا، ولكن مع ذلك لا يُضَيِّعُ شيئًا من الليل، يقوم إذا لم يقم أو انتهى من القيام تجده ذاكراً، مُسَبِّحًا لله، شاكراً، مستغفراً، وهو الذي قد غفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر كما قلنا.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٠٢٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١١٧٤).

المهم: أنه كان يجيبي ليله، ومع إحياءه لليله واعتزاله لأهله ما كان يدعهم، كان يوقظ أهله أيضًا، فهذه ثلاثة أمور ذكرتها أم المؤمنين؛ يشد مئزره يعني يترك الجماع، ويترك التلذذ بالنساء، ثم يجيبي ليله، ثم يوقظ أهله، يوقظ أهله ليقوموا إلى هذا الخير لا يُفوتوا هذا الخير، وهذا بعكس أحوالنا نحن في هذا الزمن؛ إذا جاءت العشر بدل أن نوقظ الأهل ليحيوا الليل؛ يجزنا الأهل لنحيي السوق! فانظروا الفرق بين الحالين، يوقظ أهله إلى الأعمال الصالحة، إلى الصلاة، إلى قراءة القرآن، إلى الاستغفار، إلى ذكر العزيز الجبار -تبارك وتعالى- في ليالي هذه العشر المباركة التي قال فيها النبي ﷺ: «مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»<sup>(١)</sup>، أو: «فَهُوَ الْمَحْرُومُ» كما تقدّم معنا.

\* وفي حديث زينب بنت أم سلمة -رضي الله عنهما- قالت: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَقِيَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ مِنْ رَمَضَانَ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ»<sup>(٢)</sup>، هذه زينب بنت أم سلمة ربيبة النبي ﷺ تقول: إذا دخلت العشر لم يكن رسول الله ﷺ يدع أحدًا من أهله يطيق القيام إلا أقامه، فأين نحن من هذا الحديث؟ الله ﷻ يقول: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]. فالنساء ناقصات عقول وناقصات دين، وهنّ اليوم في هذه الأيام لا يجبون سماع الحديث هذا، وبعض الفجرة من أصحاب الشهوات أيضًا لا يريد سماع هذا الحديث، وسنسمعهم به في آذانهم، فهو كلام رسول الله ﷺ؛ فنقصان العقل فسره النبي ﷺ شهادة المرأتين بشهادة

(١) الذي جاءت به الأحاديث أن هذا في ليلة القدر، فقد أخرج أحمد في «مسنده» برقم (٩٤٩٧) -واللفظ له-، والنسائي في «سننه» برقم (٢٠١٦) أن النبي ﷺ قال في رمضان: «فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»، وأخرج ابن ماجه في «سننه» برقم (١٦٤٤): «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرْتُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مُحْرَمٌ».

(٢) أخرجه ابن نصر المروزي في «قيام الليل» (مختصره للمقرئزي -الطبعة الباكستانية) (١/٢٤٧): «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرَةُ أَيَّامٍ لَمْ يَدْرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ».

رجل: ﴿فَرَجُلٌ وَأَمْرَاتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا  
الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والنبي ﷺ قد قال: «أَلَيْسَتْ شَهَادَةُ الْمَرَّاتَيْنِ مِنْكُنَّ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ؟» قالت: بلى، قال: «فَذَلِكَ  
نُقْصَانُ عَقْلِهَا، وَتَأْتِيهَا الْحَيْضَةُ فَتَدْعُ الصَّلَاةَ»، قالت: بلى، قال: «فَذَلِكَ نُقْصَانُ دِينِهَا»<sup>(١)</sup>، هذه  
حقيقة الله فطرها عليها، خلقها عليها، لا تبديل لخلق الله، ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾  
[الروم: ٣٠]، الفطرة هي التوحيد، وأيضاً ما فُطِرُوا عليه في أصل الجبلة والخلقة، هذا ليس بعب  
أمر كتبه الله، فالرجل على بنات آدم، فالرجل قائم في هذا الباب ما ينقص فيه شيء، والمرأة  
تعزل الصلاة، والصيام، والعمرة، والطواف، وقراءة القرآن أيام حيضها وأيام نفاسها إلا في  
الحالات التي استثناها أهل العلم، ليس هذا مكانها، فهذا نقصان دينها، وهذا نقصان عقلها.  
ومن نقصان عقلها ما قاله النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا دليل أيضاً لهنّ علينا ولنا  
عليهنّ، قال -عليه الصلاة والسلام-: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ  
الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، فكيف إذا ما هو حازم؟ إيش يصير؟

فيا معاشر الأجابة: العاقل يأخذ بيد من يجب إلى النجاة من الشر، ومن النار، ويأخذ بيده  
إلى الازدياد من الخير، فبدل ما تأخذ هي بيدك إلى السوق في الليل في العشر الأواخر؛ خذ بيدها  
إلى مسجد النبي ﷺ، ولا خذ بيدها إلى محرابها في البيت، مكانها الذي تصلي فيه، يقول لها قومي،  
ولاً خذ بيدها وأعطها القرآن قل لها: اقربي من القرآن ما تيسر لك، فهي ليالي معدودة  
وستنتهي، فلا تفوت عليك.

(١) أخرج البخاري في «صحيحه» برقم (٣٠٤) -واللفظ له-، ومسلم في «صحيحه» برقم (٧٩): «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرَّاتَيْنِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ  
مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا».

لو قيل لواحد منا: إنَّ هذه العشرة أيام سنعطيك عشرة آلاف ريال، فقط عشرة أيام، بشرط أنك تمسك البندق في الحراسة من بعد المغرب إلى قبل الفجر، وما عدا ذلك أنت مسموح، يمضي هذه العشر وهو واقف على الثنتين، ما يجلس على كرسي، يبغى عشرة آلاف! فكيف بغفران الذنوب يا ناس؟ ماذا أقول لكم؟ وماذا أضرب من الأمثلة؟ عندكم ما هو أكثر مما عندي، ولكن من باب التذكير.

فهذه زينب بنت أم سلمة تخبر عن حال رسول الله ﷺ وعن نسائه وأهل بيته؛ أنه - عليه الصلاة والسلام - إذا دخل العشر الأخير من رمضان ما كان يدع أحداً من أهله يطيق القيام إلا أقامه، لماذا؟ حرصاً على هذه العشر، لما فيها من عظيم الأجر، ولأنها ظرف ليلة القدر، هذا الظرف العشر الأواخر ظرف ليلة القدر.

النبي ﷺ اعتكف مرة العشرة الأولى من رمضان، يريد ليلة القدر، واعتكف العشر الأوسط، واعتكف العشر الأخير، واستقرَّ الخبر جاءه من السماء بأنها في العشر الأواخر. وجاء عنه: أنه اعتكف العشر الأوسط من رمضان يريد ليلة القدر، ثم اعتكف العشر الأواخر، وأخبر بأنها فيها، ثم قال - عليه الصلاة والسلام -: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَحَرِّيًا، فَلْيَتَحَرَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»<sup>(١)</sup>، هذا مطلق، وجاء اللفظ الآخر: «في الوترِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»<sup>(٢)</sup>.

والأوتار هي: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وآخر ليلة تسع وعشرين من رمضان إذا كان الشهر تسعة وعشرين يوماً وتسعاً وعشرين ليلة، فهذه الأوتار أرجى، فإنَّ قوله - عليه الصلاة والسلام -: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَحَرِّيًا، فَلْيَتَحَرَّهَا

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٠١٥)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١١٦٥).

في العَشرِ الأَوَاخِرِ»، قضي عليه بهذا النص، فقيده، فأصبح عندنا التضييق أكثر، فالمدة أقل، فالأوتار أرجى أن تكون في الأوتار، فكان -عليه الصلاة والسلام- يجاور كما جاء في عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها- في «الصحيحين»<sup>(١)</sup>: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»، يجاور يعني يعتكف، والاعتكاف كما وعدنا بالأمس سيأتينا الكلام عليه إن شاء الله في لقائنا القادم، هذا الاعتكاف كله لأجل ليلة القدر حرصاً على الوقت ما يذهب في الحديث مع أهله، والسمر مع أهله، ولا في زيارة الزائر له، أو في زيارته، لا، كله لأجل إحياء هذه الليلة بذكر الله -تبارك وتعالى-، والصلاة، وقيام الليل، وقراءة القرآن، والاستغفار.

فيا أيها الإخوة: هذه الليالي ستنزل بنا بعد أيام قليلة، ثلاثة أيام، اليوم الثالث منها في الليل نصلي، يعني غداً الخميس، بعد غد الجمعة، السبت اليوم الثالث سنصلي ليلاً صلاة التهجد الآخرة، وهذه يسميها العلماء قديماً بالتعقيب، وسيأتينا إن شاء الله تعالى الكلام عليها، وعلى الرد على من لم يقل بالصلاة فيها، أو منع من الصلاة فيها، فإن هذا هو الخير العظيم، وفواته هو الخسران، نسأل الله العافية.

فهذه الليالي العشر -معاشر الأحبة- من رمضان هي مواسم الخيرات، وهي أفضل ليالي رمضان على الإطلاق، فيها الأجور العظيمة، وفيها الأجور الكثيرة، وفيها الفضائل المشهورة التي وردت الأحاديث فيها عن رسول الله ﷺ، ولهذا احتاج الناس إلى أن يتفرغوا لها أكثر وأكثر، فإن هذه الأحاديث التي ذكرناها فيها دلالة كافية على أن هذه العشر يجب أن نخصها بمزيد من العناية، والعمل الكثير، والاجتهاد في ذلك عمّا كان عليه المؤمن في أول الشهر، وعمّا كان عليه المؤمن في وسط الشهر؛ وذلك لوجود هذه الليلة -ليلة القدر-، أي ذات القدر والشرف، أو لأنها تُقدَّر فيها المقادير، قولان لأهل العلم قالوه في معنى القدر، إما أنه القدر من

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٠١٨)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١١٦٧).

القدر والشرف والعظم عند الله -تبارك وتعالى-، وهذا قد جاء في سورة كاملة، وإما أنه من التقدير، وهذا قد جاء في سورة الدخان: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾ [الدخان: ٤]-  
٢٥، إلى آخره.

فالشاهد: أنه لا ينبغي لنا أن نُفَرِّط في مثل هذه الساعات في هذه الليالي القليلة التي ما هي إلا كلمحة بصر ثم تخرج، وإذا بالمؤمن يتحسّف عليها، ويتأسّف، ويتندّم، ويدعو الله أن يُبلّغه إياها من العام القادم، أنت الآن فيها في هذه المدة المباركة شهر رمضان، وقد مكّنتك الله وتمّعت لك في الصحة والعافية، وأمدّ في العمر، فاجتهد في الحاصل الحاضر التي قد مكّنت منه، فالمؤمن الحريص على الخير هو الذي يجتهد؛ لأنه لا يدري هل يُفسح له في الأجل فيأتي بصالح العمل، ويتوب من سيء العمل أم لا؟ فهذا هو المؤمن العاقل الذي يجتهد في هذا الشهر وفي هذه العشر وقد مكّنه الله ﷻ من إدراكها، ولأجل هذا جاء عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه كان يقول: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ» التحري معناه الانتظار، تنتظر الشيء تراقبه، وهذا فيه غاية الحث على الحرص على الوقت في هذه العشر، فيه غاية الحث على الحرص على العشر، فأنت طول وقتك تتحرّى في هذه العشر، ومن قام العشر كاملة أدركها بيقين، وليس شرطاً أن تعلمها وتعرف أي ليلة هي، المهم أن تقوم هذه العشر، فإذا قمت عشرة فأبشر يقيناً بأنك قد أدركتها.

ولكن يا ناس تقوم هذه العشر تقومها وتحرص عليها بماذا؟ بما ينفعك، وعليك أن تكثر من الاستغفار، وأفضل الاستغفار ما كان من جوامع الدعاء، ومن ذلك ما علّمه رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة حينما سألته كما في حديث «السنن»: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَدْرَكْتُ لَيْلَةَ



الْقَدْرِ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ، - أَوْ عَلِمْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ -، فَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»<sup>(١)</sup>، فوجهها - عليه الصلاة والسلام - إلى هذا الدعاء الجامع.

وأحسن الأدعية ما دعا به رسول الله ﷺ مما كان مشتملاً على خيري الدنيا والآخرة، فأنت تسأل الله ﷻ الجنة، وتعوذ به من النار، وتسأله من خير الدنيا ما يصلح حالك، وشأنك فيها. وإياكم والتكلف في الدعاء، فإنَّ النبي ﷺ كان يكره ذلك، وكان يجب جوامع الدعاء كما قالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها -.

وأنت تعجب - أيها الأخ الكريم - من بعض الأئمة في المساجد؛ يدعون المأثور من أدعية النبي ﷺ الذي يجمع فيه المعاني الكثيرة في الكلمات القليلة، ويأتون بالكلمات الكثيرة التي لا تحتوي إلا على المعاني القليلة، فيطيلون على الناس، ويتعبونهم في القيام، ويخرجون عن القصد النبوي، والسنة النبوية، وهذا والله في الحقيقة يدل إن دلَّ على شيء؛ فإنما يدل على عدم الفهم، أو قلة الفهم؛ إذ يدع الإنسان ما دعا به رسول الله ﷺ من جوامع الأدعية، ويذهب إلى ما وضعه غيره من البشر من الأدعية، بل بعضها سمعنا فيه الاعتداء في الدعاء، الاعتداء في الدعاء، نسأل الله العافية والسلامة.

ونجد أيضاً الابتداع في الدعاء في بعض الأدعية، هذا كله من قلة العلم، نسأل الله العافية والسلامة، أو من الهوى، باتِّباع بعض من أضلَّه الله ﷻ، نسأل الله أن يعافينا وإياكم من ذلك كله.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢٥٧٤١)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٣٨٥٠)، والترمذي في «جامعه» برقم (٣٥١٣)، وينظر: «الصحيحة» للألباني (١٠٠٨/٧)، برقم (٣٣٣٧).

